

**حياة امرئ القيس الكندي وبيئته بين شعره  
والأسطورة من منظور الدكتور شوقي ضيف**

**د. أحمد هادي باحارثة**

---

دكتورة في آداب اللغة العربية – جامعة القاهرة  
سكرتير مجلة الأندلس.



جامعة الأندلس  
للعلوم والتكنولوجيا

Alandalus University For Science & Technology

**(AUST)**

## حياة امرئ القيس الكندي وبيئته بين شعره والأسطورة من منظور الدكتور شوقي ضيف

### الملخص :

الأقدمين بالقبول بعد التمهيص، مع إمكانية الجمع بين تلك الروايات في كثير من الأحيان بعيداً عن الإفراط في التشكيك، وتضخيم التضارب، وإهدار المرويات .

امرؤ القيس بن حجر الكندي شاعر يمني من حضرموت يدل على ذلك انتسابه القبلي القحطاني لقبيلة كندة اليمنية، كما يدل على ذلك أيضاً ما أورده من مواضع للبيئة اليمنية في شعره، وطبيعة مفردات لغة شعره وبعض عباراتها التي ما زالت مأنوسة ومستعملة في اللهجة العربية في المناطق الحضرمية .

إن امرأ القيس بن حجر الكندي شاعر يمني من حضرموت يدل على ذلك انتسابه القبلي القحطاني لقبيلة كندة اليمنية، كما يدل على ذلك أيضاً ما أورده من مواضع للبيئة اليمنية في شعره، وطبيعة مفردات لغة شعره وبعض عباراتها التي ما زالت مأنوسة ومستعملة في اللهجة العربية في المناطق الحضرمية .

وإن حياته، سواء قبل مصرع والده أو بعده، وإن داخلتها بعض الأساطير والمبالغات وتضارب الروايات إلا أن ذلك لا يؤدي إلى رفضها بالكلية أو رفض جملتها أو الشق الأكبر منها، وإن في شعره لما يدل على حياته مما تلقاه عامة الرواة الموثوقين والنقاد

### Abstract :

Amra'o Al-Qaiss bin HajerAlkandi is a Yemeni poet from Hadramout, as indicated in his Qahtany tribal affiliation to Kinda in Yemen. Moreover, his affiliation can be figured out from his poems about the Yemeni environment as well as the nature of the words/language and expressions he uses in his poems. Such words and expressions are still common and used in the Arabic accent of Hadramout regions.

His life, either before or after the death of his father even if that

life was defamed by some fables and stories, it can not be completely or partially ignored. In his poems, there are lot of indications about the life of the poet as well as from the trusted storytellers and the ancient critics who studied those poems and agreed or disagreed with them. There is a possibility to often aggregate between the poet narrations, away from the exaggerations, doubts and contradictions of narrations.

**مشكلة البحث وخطته :**

امرؤ القيس بن حجر الكندي شاعر جاهلي معروف، وأحد شعراء المعلقات، وأكثر شاعر لقي شعره وحياته لغطاً عند النقاد المحدثين؛ لقدّم العهد بشعره، ولانتسابه القبلي إلى اليمن، ولاختلاط بعض محطات حياته بالأساطير، وفي هذا البحث القصير نكتفي بالإشارة إلى آراء الناقد المصري الدكتور شوقي ضيف في هذا الشاعر، ولاسيما أن ضيف قد عني بتاريخ الأدب العربي في سلسلته الشهيرة منذ تاريخه الجاهلي حتى عصوره المتأخرة، لقيت قبولاً واسعاً لدى النقاد ودارسي الأدب .

وقد تضمن البحث ثلاثة محاور، في أوله تناولت نبذة يسيرة عن حياة شوقي ضيف وجهوده في البحث الأدبي، والمحور الثاني تحدث عن البيئة التي عاش فيها الشاعر وتأثر بها في شعره، والمحور الأخير تكلمت فيه عن تداخل الأسطورة والتضارب الروائي في حياة الشاعر بمحطاتها المختلفة ورأي ضيف فيها، ومناقشته .

**المحور الأول: الدكتور شوقي ضيف وجهوده في خدمة الأدب العربي**

ولد شوقي ضيف في قرية ( أولاد حمام ) قرب مدينة دمياط سنة ١٩١٠، لأب أزهرى يدعى الشيخ عبد السلام ضيف، وفي السادسة من عمره التحق بالمدرسة الأولية بقرية وحفظ القرآن ببلوغه سن العاشرة، ثم ألحقه أبوه بالمعهد الديني بدمياط فأظهر فيه نبوغاً عالياً في اللغة والفقه الشافعي، ثم أقبل على القراءة الحرة في الصحف فأعجب بالمقالات الأدبية وشعر معها بتيار جديد يفض على عقله وقلبه .

التحق بعد ذلك بتجهيزية دار العلوم، وفتحت له هذه باباً مهماً من أبواب التعليم حين قررت كلية الآداب قبول طائفة من خريجي التجهيزية بقسم اللغة العربية ليتزودوا بأدوات البحث الحديثة في الأدب والنقد، ويلتحق ضيف بهذه الكلية ليتخرج منها سنة ١٩٣٥ بدرجة الليسانس بتفوق أهله ليصبح معيداً بقسم اللغة العربية بكلية الآداب، وسرعان ما حاز درجة الماجستير بموضوع حمل عنوان ( النقد الأدبي في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ) سنة ١٩٣٩، ثم نال الدكتوراة سنة ١٩٤٢ .

عمل أستاذاً بقسمه، وما زال يترقى في الدرجات العلمية حتى أصبح أستاذاً متفرغاً، كما عمل لسنوات ببعض الجامعات العربية خارج مصر منها: جامعات بيروت

والأردن وبغداد والكويت والرياض، فتخرج على يديه عشرات من حملة الماجستير والدكتوراة فتح لهم آفاقاً من الموضوعات خدموا بها آداب اللغة العربية في جوانبها المختلفة، ونال عضوية مجمع اللغة العربية فتدرج في مناصبه حتى أصبح رئيساً له منذ عام ١٩٩٦، كما نال عضوية عاملة وشرفية في مجامع ومجالس أخرى في مصر وفي خارجها، فيمد مؤتمراتها بمحاضرات وبحوث متنوعة، وله العديد من المقالات القيمة في المجالات الأدبية والعلمية، وحاز على جوائز تقديرية عالية القيمة من مصر والسعودية والكويت .

تصنف مؤلفاته المتنوعة المجالات إلى خمسة مجموعات : الأدب وتاريخه، والدراسات الإسلامية، واللغويات، والتحقيقات، والأعمال الجمعية، عرض في المجموعة الأولى للمذاهب الفنية للشعر والنثر على مر العصور، وتاريخ الأدب العربي في مختلف عصوره وبيئاته، والأدب العربي المعاصر في مصر وأعلامه من الشعراء والكتاب، وخص ابن زيدون والبارودي وشوقي والعقاد بدراسات تحليلية، مع نهج دقيق للبحث في الأدب ونقده، وفي المجموعة الثانية قام بتفسير القرآن تفسيراً سهلاً سلساً موجزاً مريحاً للنفس والعقل، وله وراء ذلك أبحاث مهمة ومقالات جمّة، وفي اللغويات جمع بين التعمق في القديم من التراث اللغوي وبين تفتح الفكر نحو الجديد والتجديد، فكتب في تيسير النحو، ومشكلات اللغة العربية قديمها وحديثها، وحقق نصوصاً في مجالات أدبية ونحوية ودينية، كما كان عضواً في كثير من اللجان المعجمية .

وأبرز كتبه في الأدب والنقد هي: ( الفن ومذاهبه في الشعر العربي )، ( الفن ومذاهبه في النثر العربي )، ( في النقد الأدبي )، ( فصول في الشعر ونقده )، ( البحث الأدبي : طبيعته، مناهجه، أصوله )، ( الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية )، ( التطور والتجديد في الشعر الأموي )، ( الأدب العربي المعاصر في مصر )، ( البطولة في الشعر العربي )، ( البارودي رائد الشعر الحديث )، ( شوقي شاعر العصر الحديث )، ( الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور )، ( دراسات في الشعر العربي المعاصر )، ( البلاغة تطور وتاريخ )، ( في التراث والشعر واللغة )، ( العقاد )، ( ابن زيدون )، ( الرحلات )، ( المقامة )، ( الرثاء )، ( النقد )، ( الترجمة الشخصية ) .

قال عنه الدكتور كمال بشر : " شوقي ضيف هو الرائد الأول في العصر الحديث إنتاجاً وغزارة مادة ومنهجاً ووضوحاً وتوثيقاً " (١) ، وقال : " إذا كان الدكتور طه حسين هو عميد الأدب العربي فالدكتور شوقي ضيف هو عميد الثقافة والمعرفة العربية والإسلامية " (٢) .

ويقول الأستاذ سمير غريب رئيس مجلس إدارة الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية : " إن ما قدمه الأستاذ الجليل شوقي عبد السلام ضيف من بحوث ودراسات في الأدب العربي من موضوعات وعصور وأعلام يعد بلا جدال موسوعة جامعة واضحة للأدب العربي، ينوء بكتابتها العديد من الأساتذة المتخصصين وحملها الدكتور ضيف وحده " (٣) .

ويقول الدكتور عبد المجيد حنون منوهاً بجهود ضيف في التأريخ للأدب العربي فنوياً وأعلاماً وعصوراً : " ظهرت دراسات أكاديمية جادة مثل دراسات شوقي ضيف عن الفن ومذاهبه في الشعر العربي، والفن ومذاهبه في النثر العربي، وعن شوقي شاعر العصر الحديث، والأدب العربي المعاصر في مصر، وسلسلة تاريخ الأدب العربي بأجزائها المختلفة " (٤) .

ويقول عنه آخر : " نحن أمام باحث ذي منهج أكاديمي علمي يحدد أهدافه، وما يريد أن يحققه يوفر له المادة العلمية في مصادرها ومراجعها، مع تفهم تام ودقيق واع بحركة المجتمع بأبعادها المختلفة تاريخية واجتماعية وعقلية وثقافية، والتي تتضح في الإبداع الأدبي شعراً ونثراً، ويعتمد على ذوقه الخاص في الحكم على بعض الظواهر الأدبية " (٥) .

ومن جهته يشيد الدكتور بدوي طبانة بأسلوبه ومنهجه في سلسلة تاريخه الأدبي فيقول : " للدكتور شوقي ضيف أسلوبه الفريد في دراسة الأدب منظومه ومنثوره، وهو

(١) د. شوقي ضيف على الإنترنت وفي دياره بمصر المحروسة، إشراف وتقديم د. كمال بشر، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣، ٤

(٢) نفسه ٥

(٣) نفسه ٣٦

(٤) اللانسونية وأثرها في رواد النقد العربي الحديث، د. عبد المجيد حنون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٩، ٢٥٢

(٥) شوقي ضيف .. سيرة وتحية، إشراف وتقديم د. طه وادي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢، ٩٠

أسلوب ينم عن علم ودراية" <sup>(٦)</sup> ، ويقول عن منهج ضيف في دراسة الشعر والشعراء بأنه :  
" يمضي في دراسته للشعراء ، ولا يكتفي بالتعريف والاستشهاد ، ولكنه يجتهد في  
تقويم شاعريتهم ، ويشرح العوامل التي كان لها تأثير في توجيه هذه الشاعرية ،  
وإعانتها على البوح بمكنونها ، ثم يتناول بقلم الناقد العارف ما خلفوه من نتاج  
شعري" <sup>(٧)</sup> .

### المحور الثاني: بيئة امرئ القيس

امرؤ القيس بن حجر الكندي شاعر جاهلي يماني من حضرموت كما هو ظاهر  
من دلالة نسبه وشعره ، فنسبه يعود للقبيلة القحطانية كندة التي سكنت وادي  
حضرموت منذ زمن بعيد ، وشعر امرئ القيس شاهد على المواضع التي يحن إليها  
ويفخر بالانتماء لها ، بحيث لا يتأتى معرفة تفاصيلها الجغرافية والتضاريسية إلا من ابن  
بيئتها ، ومن بينها مناطق دمون وعندل وصيلع وغيرها ، فنجده يقول : <sup>(٨)</sup>

كأنني لم أسمر بـ ( دمون ) ليلة ولم أشهد الغارات يوماً بـ ( عندل )

ويقول <sup>(٩)</sup> :

أتاني وأصحابي على رأس ( صيلع ) حديث أطار النوم عني وأفحما

وهذا الجبل يقع في منطقة ( الهجرين ) بحضرموت ، يقول عبد الرحمن بن عبيد  
الله السقاف في صفة المحيط الجغرافي الذي ارتبط به الشاعر : " الهجرين واقعة في  
حضن جبل فارد جاثم على الأرض كالجمل المبارك ... وفي جنب ذلك الجبل الشبيه  
بالجمل من جهة الشمال آثار دمون المذكورة في قول امرئ القيس :

تطاول الليل علينا دمون " <sup>(١٠)</sup> .

ثم قال : " وفي جنوب الهجرين أنف ممتد من جبل ذاهب طولاً إلى دوعن ، وعليها بلدة  
يقال لها ( صيلع ) ، وهي المذكورة في قول امرئ القيس :

(٦) دراسات نقدية في مصنفات أدبية حديثة. د. بدوي طبانة، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٢، ١٨

(٧) نفسه ١٩

(٨) ديوان امرئ القيس، تحقيق مصطفى عبد الشافي، دار كتب العلمية، بيروت، ط ٥، ٢٠٠٤، ١٥٤

(٩) نفسه ١٦٠

(١٠) إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، دار المنهاج، جدة، ٢٠٠٥، ٤١٠

أتاني وأصحابي على رأس صيلع حديث أطار النوم عني وأفحما  
وقد ظفرت منها بضالة منشودة، لأنها مقطوع النزاع في حضرمية امرئ القيس " (١١) .  
ومن ذلك إشارته إلى منطقة ( رَحِيَّة ) في غرب وادي حضرموت وبعض ما حولها من  
قراها المتناثرة حيث يقول (١٢) :

خرجنا نريع الوحش بين ثقاله وبين رخيات إلى فح أخرب  
قال ابن عبيد الله : " إن امرأ القيس لا يريد إلا رحية هذه، كما لا يريد بأخرب إلا  
خربة القمازين من نهد، فإنها بينها وبين رحية بالتقريب مقدار أربع ساعات " (١٣) .  
ورجح أن ( أبان ) المذكور في معلقته (١٤) :

كأن أباناً في عرانيين وبله كبير أناس في بجاد مزمل  
هو جبل بحضرموت يقع بقرب منطقة شرمة الساحلية شرقي مدينة الشحر " لأن امرأ  
القيس حضرمي، وقد ذكر أباناً وهو إلى جانب شرمة " (١٥) .  
وأشار بعضهم أن امرأ القيس ذكر منطقة ( القطن ) اسم المدينة المعروفة  
بحضرموت، حيث يقول (١٦) :

على قطن بالشيم أيمن صوبه وأيسره على الستار ويدبل  
لكن ابن عبيد الله لم يقبل هذا القول، وعلل عدم قبوله أن ( قَطْن ) المذكور في  
بيت امرئ القيس بالتحريك أي بفتح وسطه، بينما يُنطق اسم المنطقة الحضرمية  
بسكون الوسط (١٧)، إلا أنه يبقى في رأيي احتمال حصول تحريف في النطق على ألسنة  
الناس بمرور الزمان فسكن الوسط وأصله القديم الفتح؛ إذ إن له نظائر في لسان  
العامة مثل تسكينهم راء ( برهوت ) مع كونها مفتوحة (١٨) .

وامرؤ القيس وإن قضى شطراً من عمره خارج حضرموت حيث مستقر دولة آبائه في  
نجد فلا ينافي ذلك حضرميته، أو كما قال المؤرخ محمد بن أحمد الشاطري :

(١) نفسه ٤١٥

(٢) ديوان امرئ القيس ٣٤

(٣) إدام القوت ٢٦٢

(٤) شرح المعلقات السبع، أبو بكر محمد بن محمد بن القاسم الأنباري، ضبط وتنسيق د. أحمد هادي باحارثة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ١٠٤.

(٥) إدام القوت ٢٢٦

(٦) شرح المعلقات السبع، مرجع سابق، ١٠٠.

(٧) إدام القوت ٤٨٧

(٨) انظر انحرافات اللهجات العامية الحديثة عن العربية الفصحى، د. عبد الله صالح بابعير، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ٢٠١٢، ٣٤.



"مولده بنجد لا يخرج عن حضرميته، كالكثير من مواليد الحضارمة بالمهاجر حين يولدون بها ويعيشون ويتمسكون بوطنهم الأصيل العربي حضرموت" (١٩).

وقد ذكر الدكتور شوقي ضيف نفسه في انتساب الشاعر امرئ القيس أنه ينتمي إلى " قبيلة كندة، ومن بيت السيادة فيها، وهي قبيلة يمنية كانت تنزل في غربي حضرموت، وهاجرت منها جماعة كبيرة إلى الشمال مع هجرات اليمنيين المعروفة" (٢٠).

كل ذلك يخالف ما قاله الناقد عبد الله البردوني: " إن امرأ القيس يمانى النسب، نجدى الشاعرية والبيئة" (٢١)، بل هو يمانى الشاعرية والبيئة، يقول عنه الجغرافى عبد الله سعيد باحاج: " جاء في أشعاره بعض المعلومات الجغرافية عن دولة كندة وحضرموت عموماً، ومناطق الاستيطان البشري فيها آنذاك" (٢٢)، ويؤيد هذا المؤرخ محمد حسين الفرخ حيث قال: " إن أشعار امرئ القيس تنطق بمعالم حياته في اليمن" (٢٣).

وإن نظرة سريعة إلى معلقته الشهيرة (قضا نيك) تبين بمعجمها الشعري أن قائلها حضرمي الأرومة، ولن تشك في حضرمية قائلها، إذ ستلفت نظرك وسيقرع سمعك كلمات وعبارات مأنوسة من مثل: ( غدوة، مساويك، السليط [ الزيت ]، الكثيب، الحنظل، المداك، ناقف، بعر، بعير، الوليد [ الصبي أو الغلام ]، عروس، حناء، درع [لباس للمرأة المكتهلة]، منارة، فتيت، العشاء، اللبد، غبار، الفتل، خذروف، حطه السيل، يكب، يسح، تمطى، خيط موصل، الذبال المفتل) وغيرها من الكلمات والعبائر التي ما زال يعرفها الوسط اللغوي في حضرموت، وهي وإن كانت كلمات فصيحة يتكلم بها العرب عموماً لكن بصورة متفرقة بين قبائلهم وبيئاتهم، فيدل تراكمها واختيارها دون غيرها في قصيدة واحدة للشاعر على نوع بيئته التي تنتشر فيها ذلك المفردات بعينها وهي البيئة الحضرمية.

(١) أدوار التاريخ الحضرمي، محمد بن أحمد الشاطري، دار المهاجر للنشر والتوزيع، تريم، ط٣، ١٩٩٤، ٧٠.

(٢) العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ٢٢٢.

(٣) رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه، عبد الله البردوني، دار الفكر، دمشق، ط٥، ١٩٩٥، ٢٣.

(٤) حضرموت في المؤلفات العربية والأجنبية، د. عبد الله سعيد باحاج، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ٢٠٠٤، ٣٢٠.

(٥) شعر وشعراء اليمن في الجاهلية، محمد حسين الفرخ، إصدارات وزارة الثقافة، صنعاء، ٢٠٠٤، ٧٤.

إضافة إلى بعض الاستعمالات اللغوية المعروفة في اللهجة الحضرية كتكرار استعمال مفردة ( يوم ) بمعنى حينما كقوله <sup>(٢٤)</sup> :

ويوم عقرت للعذارى مطيتي      فيا عجباً من رحلها المتحمل  
وقوله <sup>(٢٥)</sup> :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة      فقالت لك الويلات إنك مرجل  
ومثل ذلك استعمال الفعل ( قال ) أداة للتشبيه كما في بعض قصائده خارج المعلقة كقوله في وصف فرسه <sup>(٢٦)</sup> :

إذا أقبلت ( قلت ) دُبَّاءة      من الخصر مغموسة في الغدر  
وإن أدبرت ( قلت ) أُتْفِيَّة      ململمة ليس لها أثير  
وإن أعرضت ( قلت ) سرعوفة      لها ذنب خلفها مسبط

وقد لاحظ شيئاً من ذلك الناقد والشاعر محمد سعيد جرادة <sup>(٢٧)</sup> ، بل يرى الناقد عبد الله محمد بن حامد السقاف أن معلقة امرئ القيس قد " قالها في حضرموت وعمره بين العشرين والثلاثين " <sup>(٢٨)</sup> ، لكن شوقي ضيف يرى أن امرأ القيس شب في ديار بني أسد ، ومن ثم فإن ما ورد في معلقته يعبر عن بيئة منازل بني أسد أمكنة وأحداثاً <sup>(٢٩)</sup> ، لكن هذا لا يمنع ما أورده السقاف من أن الشاعر نظم معلقته بحضرموت لأنها مسوقة في إطار من الذكريات ، وواقفه المؤرخ محمد حسين الفرح <sup>(٣٠)</sup> ، وقال " في القصيدة ذكرياته وغرامياته في مناطق نجد واليمامة ، وبما أنه ذكرها على سبيل التذكر ، فلا يتعارض ذلك مع الرأي بأنه قال القصيدة وهو باليمن " <sup>(٣١)</sup> ، وسواء قالها في حضرموت أو خارجها فليس في ذلك ما يعارض حضرمية قائلها كما أسلفنا وكما أفشى بذلك لسانه أو معجم قصيدته اللغوي .

<sup>(٢٤)</sup> ديوان امرئ القيس ١١٢

<sup>(٢٥)</sup> نفسه

<sup>(٢٦)</sup> نفسه ٧٢ ، الدبابة والسرعوفة من أسماء الجراد ، الأتفية صخرة الموقد ، وانظر في استعمال الفعل ( قال ) للتشبيه في بعض اللهجات اليمنية كتاب: اللهجة الباقعية دراسة تقابلية مع الفصحى في ظواهر صرفية ونحوية ، د. سند محمد عبد القوي سالم ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، ٢٠١٣ ، ٢٥٤

<sup>(٢٧)</sup> انظر الأدب في اليمن عبر العصور ، محمد سعيد جرادة ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ٤١

<sup>(٢٨)</sup> تاريخ الشعراء الحضرميين ، عبد الله محمد بن حامد السقاف ، مكتبة الطائف ، ١٤/١

<sup>(٢٩)</sup> العصر الجاهلي ٢٤٨

<sup>(٣٠)</sup> شعر وشعراء اليمن في الجاهلية ٣١٠

<sup>(٣١)</sup> نفسه ٣١٢

وقد عاش امرؤ القيس الكندي شاعراً لاهياً بعيداً عن ملك آبائه في نجد ، لكنه تولى الأخذ بثأر أبيه بعد مصرعه على يد بني أسد وتقوض ملكه ، ثم سعى لاسترداد ذلك الملك بمعونة من ملك الروم ، إلا أن أحد أفراد قبيلة أسد تمكن أخيراً من اغتياله . وهو من أوائل الشعراء الجاهليين ومتقدميهم ، وأجودهم شعراً وأرسخهم إبداعاً ، وشهد له كبار النقاد العرب القدماء بالتفوق والتقدم على نظرائه ومعاصريه ، ومن ذلك ما قاله عنه الناقد ابن قتيبة : " سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعه عليه الشعراء من استيقافه صحبه في الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ " (٣٢) ، ومن ثم رأينا الناقد سعيد عوض باوزير يقول : " إن شعر امرئ القيس الكندي أصدق وأوضح صورة للمستوى الرفيع الذي وصل إليه الأدب في حضرموت " (٣٣)

#### المحور الثالث: حياة امرئ القيس بين شعره والأسطورة

تتبع الدكتور شوقي ضيف تطور نشأة وانهايار دولة كندة التي بلغت أوج سلطانها في عهد جد الشاعر وهو الحارث بن عمرو الذي بث أولاده ولادة على القبائل فكان والده حجر سيدياً على بني أسد ، إلا أن الجد قتل بعد أن هزم أمام ملك الحيرة المنذر بن ماء السماء الذي ألّب القبائل على أبنائه فكان أن قتلت أسد أميرها حجر أبا امرئ القيس بعد صراع طويل معها لإخضاعها .

ثم أورد عن الأصفهاني أربع روايات في مقتل أبيه على يد بني أسد (٣٤) ، وأولها عن هشام بن الكلبي أنهم اغتالوه وهو في قبته انتقاماً لما ساءمهم به من إذلال ، وثانيها عن أبي عمرو الشيباني أنهم اغتالوه أثناء سيره لهم ، ثالثها عن الهيثم بن عدي أنه حارب أسداً فانهزم ، وقتل في المعركة ، وفرت جموعه ، ومن بينهم ابنه امرؤ القيس ، وفي رابعها أنهم أسروه فقتله أحدهم ثأراً .

(٣٢) الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٤٤ . ٢٠٠٠

(٣٣) الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، سعيد عوض باوزير، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ٤٠ . ١٩٦١، وانظر سعيد عوض باوزير ناقداً أدبياً، د. أحمد

هادي باحارنة، دار الوجودية للدراسات والنشر، غيل باوزير، ٢٢ . ٢٠١٣

(٣٤) انظر الأثماني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق د. إحسان عباس وآخرين، دار صادر، بيروت، ٦٢/٩ . ٢٠٠٢

وقد ضعف ضيف الرواية الأولى بأن طعن في راويها ابن الكلبي، ولما اشتملت عليه من قصيدة أنشدها شاعر بني أسد عبيد بن الأبرص يذكر في أحد أبياتها يوم القيامة، بينما هو شاعر وثني<sup>(٣٥)</sup>، يقول في ذلك البيت<sup>(٣٦)</sup> :

أنت المليك عليهم وهم العبيد إلى القيامة

وضعف الروايتين الثانية والرابعة لما رآه من جرأة قبيلة أسد على اغتيال الملك الكندي أمام قومه دون أن يحركوا ساكناً<sup>(٣٧)</sup>.

ورجح الرواية الثالثة لأنها توافق ما ورد في ديوان الشاعر عبيد الأبرص المعاصر للأحداث من ذكر فرار امرئ القيس من أرض المعركة، ومن الفخر المتكرر بهزيمة جموع كندة وقتل مليكها<sup>(٣٨)</sup>.

وعلى هذا الأساس رفض رواية بلوغه مقتل أبيه وهو لاهٍ سكران بمنطقة دمون، ولعل الأجدى في رأبي هو الجمع بين الروايات مادام ذلك ممكناً .

إذ لا يستبعد فراره من المعركة عندما اشتدت وطأة أسد على قومه وميلان الكفة لصالحها وقبل حدوث الهزيمة المبرمة ومصرع والده، لاسيما أنه عاش مترفاً مرفهاً ومثل حاله لا يقوى على الصمود طويلاً في المعارك، ثم هام على وجهه وهو غير متوقع أن تكون تلك المعركة حاسمة، وإنما هي حلقة في الصراع القائم بين القوم والدة، وعاد لجلسائه في أرض دمون ليبلغه هناك الخبر غير المتوقع بمصرع والده، وقد يكون مصرعه في ميدان المعركة كما يؤكد شعر عبيد الأبرص، أو أثناء أسره كما تحكي الرواية التي ليس قول عبيد بأولى بالتصديق منها، إذ ربما قصد المبالغة والتهويل، أو قصد مصرعه أسيراً على مقربة من زمن المعركة أو ساحتها أو أنها مهدت لمصرعه .

وقد أشار الدكتور الطاهر مكي لتلك الروايات ورجح بدوره رواية الهيثم بن عدي، إلا أنه أشار إلى إمكانية الاستفادة من سائر الروايات<sup>(٣٩)</sup>، كما تعرض لهذا

(٣٥) العصر الجاهلي ٢٣٥

(٣٦) ديوان عبيد بن الأبرص، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤، ١٠٩

(٣٧) نفسه

(٣٨) نفسه

(٣٩) انظر: امرؤ القيس حياته وشعره، د. الطاهر مكي، دار المعارف، ط٦، ١٩٩٣، ٤٩

الاحتمال الذي ذكرته في الجمع في سير الأحداث لكنه رآه مسرفاً في التأويل<sup>(٤٠)</sup>، ولا أراه كذلك، لأنه يبقى محتملاً، لاسيما مع تباعد المسافات وبطء التواصل، والروايات تؤكد، وإلا نكون قد أهدرناها ولم نستفد منها .

ثم شرع شوقي ضيف يستعرض ملامح من حياة الشاعر امرئ القيس، فقال: " لا نعرف شيئاً عن مولده، ويظن أنه ولد في أوائل القرن السادس للميلاد، وليس بين أيدينا أي شيء واضح عن نشأته وكيف أمضى أيامه الأولى في شبابه إلا أخباراً تغلب عليها الأسطورة "<sup>(٤١)</sup>.

ثم ذكر روايات لهشام ابن الكلبي وابن قتيبة وآخرين وسارع إلى رفضها جميعها، فقال: " الحق أن هذه الأخبار ظاهرة الانتحال هي وكل ما يتصل بها من أشعار يسوقونها على لسانه، وكأن ابن الكلبي وغيره من الرواة استلهموا ما تدل عليه أشعاره الصحيحة من أنه كان صبياً بالشراب والصيد ومغازلة النساء فلفقوا هذه الأخبار وضمنوها بعض الأشعار، وفاتهم أنه عاش في عصر الوثنية وأنه كان أميراً من أسرة تفرس سيادتها على كثير من القبائل فلا عجب أن يحيا حياة لاهية لا تتورع عن الإثم "<sup>(٤٢)</sup>.

إن هناك حالة جفاء صارخة بين الدكتور شوقي ضيف والراوي هشام ابن الكلبي، فنراه يبادر لرفض ما يرويه ويتهمه بتلفيق الأخبار حتى لو لم يكن منفرداً بما يرويه، أو وجد ما يشهد لروايته، لكننا نرى آخرين يقفون موقفاً معتدلاً من هذا الرواية العربي، ويرون أنه كان ناقلاً، ولا يستبعدون أن تكون العهدة في أخباره على المصادر المفقودة التي اطلع عليها ونقل عنها، وأن ثمت شواهد مادية تصدق بعض مروياته الإخبارية، لذا من الحيف به وبأخباره أن نسارع بالطعن فيها ورفضها، ولاسيما عند عدم انفراده، أو وجود ما يشهد لها مما يدل على واقعيته، على الأقل في أصلها أو في جملتها، ويرون أنه من التحكم بمكان أن نهدرها أو نعرض عنها كلية، لمجرد الشك الظني في روايتها<sup>(٤٣)</sup>.

(٤٠) نفسه ٢٥

(٤١) العصر الجاهلي ٢٣٦

(٤٢) نفسه ٢٣٨

(٤٣) انظر مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الأسد، دار الجيل، بيروت، ط ٨، ١٩٩٦، ١٦٢.

كذلك رفض شوقي ضيف الرواية التي تتحدث عن رحلة امرئ القيس إلى مدينة القسطنطينية<sup>(٤٤)</sup>، مرجعاً رفضه أيضاً إلى ضعف الراوي ابن الكلبي كالمعتاد من ناحية، ولأن " التلفيق فيها بين واضح " <sup>(٤٥)</sup> كما قال، ورجح أنه توفيق وهو في طريقه إليها في حال قبول حدوث الرحلة أصلاً<sup>(٤٦)</sup>، ورفض رواية وصوله وتغزله بابنة القيصر فانتقام هذا منه بلبس الحلة، ورجح أن هذه القصة من نسج القصص لفقوها لتتماشى مع ما هو معهود من حياة الشاعر امرئ القيس وما اشتهر به من مغامرات ماجنة، " وكأنهم أرادوا أن لا يخلوه في القسطنطينية من ضرب من ضروب هذه المغامرات الجريئة " <sup>(٤٧)</sup>، ولأجل ذلك تشكك ضيف في صحة قصيدة وصف رحلته للقسطنطينية، ورفضها ودعا إلى إسقاطها من ديوانه<sup>(٤٨)</sup>.

وهنا خالف ضيف مقاييس له في القبول والرفض للروايات عن الشاعر امرئ القيس وإثبات شعره، ونعني به هنا مقياسين، أولهما الثقة بمرويات عبد الملك الأصمعي للشعر الجاهلي، وثانيهما الاستدلال بشعر عبيد بن الأبرص، فهذا الشاعر قد أشار في شعره لتلك الرحلة حيث يقول<sup>(٤٩)</sup> :

أزعمت أنك سوف تأتي قيصرًا فلتهلكن إذن وأنت شامي

كما إن قصيدة وصف الرحلة أكد عامة رواة الشعر الجاهلي على نسبتها إلى امرئ القيس، ومن بينهم الأصمعي الذي يوثق ضيف رواياته الشعرية<sup>(٥٠)</sup>، وإن أبدى احتراسه<sup>(٥١)</sup> إلا إنه في رفضه لهذه القصيدة لمجرد شكه في حقيقة الرحلة غير مقبول وليس له ما يبرره، بل ويخالف مقاييسه هو كما رأينا .

إن الروايات العربية جميعها، تاريخية وأدبية، تجمع على حدوث رحلة امرئ القيس الكندي ووصوله إلى مدينة القسطنطينية، وهنا نجد الدكتور الطاهر مكي يرى

<sup>(٤٤)</sup> العصر الجاهلي ٢٤٢

<sup>(٤٥)</sup> نفسه ٢٤٠

<sup>(٤٦)</sup> نفسه

<sup>(٤٧)</sup> نفسه ٢٤١

<sup>(٤٨)</sup> نفسه ٢٤٥

<sup>(٤٩)</sup> ديوان عبيد بن الأبرص ١١٦

<sup>(٥٠)</sup> العصر الجاهلي ٢٤٤

<sup>(٥١)</sup> نفسه ٢٤٥

تحقق حدوث تلك الرحلة مستدلاً بأن " اتجه امرئ القيس إلى القسطنطينية ليس بغريب ولا الأول من نوعه في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام " (٥٢) ، ومن ناحية أخرى أشار باحث آخر إلى " أن الاستعانة بقوى أجنبية عن شبه جزيرة العرب أمر ثابت الوقوع " (٥٣) ، بل رأى مكي أن الظروف السياسية آنذاك " مهياة لتجعل من الذهاب إلى القسطنطينية محاولة يمكن أن تتجح " (٥٤) ، كما لم يستبعد رواية تغزل امرئ القيس بابنة القيصر " لأن التغزل في امرأة جميلة ليس بمستغرب من شاعر هوايته الحديث عن النساء ، ولم يكن مما يعاب في بيزنطة في عصر امرئ القيس ولا بعد عصره " (٥٥) ، ودلل على ذلك ببعض النظائر التاريخية .

ثم إن الروايات العربية كذلك تجمع على فشل الشاعر امرئ القيس في مهمته ، ووفاته في طريق عودته ، ومنها أن رجلاً من بني أسد يدعى ( الطماح ) أوشى للقيصر بما أغضبه على امرئ القيس ، فبعث له معه بحلة منسوجة بالذهب لكنها مسمومة ، فلبسها الشاعر فتأذى بها جلده ، وسرى السم في جسمه ، ثم لم يلبث أن توفي بأنقرة وسط تركيا ، وقد رفض شوقي ضيف القصة جملة وتفصيلاً (٥٦) ، لأنه لم يسلم أصلاً لوصول امرئ القيس إلى القسطنطينية ، وتهكم من دعوى تغزله بابنة القيصر التي تزعم القصة انتقام القيصر لأجلها من الشاعر المتغزل بتلك الحلة ، ولم يذكر سبباً آخر أدى لوفاته ، أما مكي فرأى أن إشارة الروايات لأذى في جلد امرئ القيس تسبب في وفاته يشير لمرض جلدي أصابه رافضاً تعليقه بالحلة المسمومة ، وإنما " المرض هو الذي أودى به في الحقيقة " (٥٧) .

لكن مكي لم يستبعد ما أكدته الروايات من ذهاب رجل من بني أسد لإفساد سفارة امرئ القيس ، إلا إنه تشكك في اسمه الذي ورد في بيت الشاعر ، وهو ( الطماح ) ، ورآه مجرد " صيغة مبالغة من طمح " (٥٨) ، وليس ما يمنع أن يكون هذا هو

(٥١) امرؤ القيس حياته وشعره ٩٠

(٥٢) أدب ما قبل الإسلام، محمد عثمان علي، المؤسسة العالمية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٣، ١٤٥، ومما أشار إليه استعانة سيف بن ذي يزن بالفرنس .

(٥٣) امرؤ القيس حياته وشعره ٨٧

(٥٤) نفسه ٩١، واستشهد بالشاعر الأندلسي يحيى الغزال الذي تغزل بزوجة القيصر غزلاً نال إعجاب القيصر وزوجته على السواء .

(٥٥) انظر العصر الجاهلي ٢٤٢

(٥٦) امرؤ القيس حياته وشعره ٩٢

(٥٧) نفسه ٩١

اسمه واختار الشاعر الفعل طمّح للمشكلة اللفظية، بل هو الأقرب لصنيع الشعراء، ومثله قول الشاعر الأموي المعروف جرير في هجاء رجل يدعى (ميجاس) <sup>(٥٩)</sup> :

لقد توجس ميجاس فعابنه معاود جر أوصال وأوصال

ومع ذلك نرى مكي يرفض صحة الحلة المسمومة دون أن يعطي تفسيراً لمعنى البيت مع اعترافه بوثوق نسبه لامرئ القيس، أو يخبرنا بمصير مبعوث بني أسد الذي اقتصر على مناقشة اسمه، ولا أرى ما يمنع من صحة رواية مصرعه بالحلة المسمومة المبعوثة من القيصر خوفاً على قادة جيشه كما أوغر صدره ذلك الأسدي، وربما ساعدته ابنته في سوء الظن به كما ترى الرواية الأخرى، ويستقيم الأمر بأن نقول إن امرأ القيس تسلم الحلة من يد رجل من الروم أنفسهم باتفاق مع الأسدي لأنني أستبعد أن يسلمها له بنفسه، ولا يستبعد أن يكون الأسدي هو من سلمها بنفسه متتكرراً في زي جندي رومي، وهذا يدل على عظيم دهائه وما استعمله من خداع وتلطف حتى أوقع بامرئ القيس، وقد علم الشاعر بكيد عدوه بعد تضرره من لبسها، فقال في ذلك أبياته المعروفة .

### المصادر والمراجع :

- (١) الأدب في اليمن عبر العصور، محمد سعيد جرادة، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٧
- (٢) أدب ما قبل الإسلام، محمد عثمان علي، المؤسسة العالمية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٣
- (٣) إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، دار المنهاج، جدة، ٢٠٠٥
- (٤) أدوار التاريخ الحضرمي، محمد بن أحمد الشاطري، دار المهاجر للنشر والتوزيع، تريم، ط٣، ١٩٩٤
- (٥) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق د. إحسان عباس وآخرين، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٢
- (٦) امرؤ القيس حياته وشعره، د. الطاهر مكي، دار المعارف، ط٦، ١٩٩٣

<sup>(٥٩)</sup> شرح ديوان جرير، محمد إسماعيل الصاوي، مطبعة الصاوي، القاهرة، ١٩٣٤، ٤٢٤



- (٧) انحرافات اللهجات العامية الحديثة عن العربية الفصحى، د. عبد الله صالح  
بابعير، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ٢٠١٢
- (٨) تاريخ الشعراء الحضرميين، عبد الله محمد بن حامد السقاف، مكتبة الطائف
- (٩) حضرموت في المؤلفات العربية والأجنبية، د. عبد الله سعيد باحاج، دار  
حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ٢٠٠٤
- (١٠) د. شوقي ضيف على الإنترنت وفي دياره بمصر المحروسة، إشراف وتقديم د.  
كمال بشر، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣
- (١١) دراسات نقدية في مصنفات أدبية حديثة، د. بدوي طبانة، مكتبة الإنجلو  
المصرية، القاهرة، ١٩٩٢
- (١٢) ديوان امرئ القيس، تحقيق مصطفى عبد الشايف، دار كتب العلمية، بيروت،  
ط٥، ٢٠٠٤
- (١٣) ديوان عبيد بن الأبرص، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤
- (١٤) رحلة في الشعر اليميني قديمه وحديثه، عبد الله البردونى، دار الفكر، دمشق،  
ط٥، ١٩٩٥
- (١٥) سعيد عوض باوزير ناقدًا أدبيًا، د. أحمد هادي باحارثة، دار الوجيدة للدراسات  
والنشر، غيل باوزير، ٢٠١٣
- (١٦) شرح ديوان جرير، محمد إسماعيل الصاوي، مطبعة الصاوي، القاهرة، ١٩٣٤
- (١٧) شرح المعلقات السبع، أبو بكر محمد بن محمد بن القاسم الأنباري، ضبط  
وتتسيق د. أحمد هادي باحارثة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١
- (١٨) الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب  
العلمية، بيروت، ٢٠٠٠
- (١٩) شعر وشعراء اليمن في الجاهلية، محمد حسين الفرخ، إصدارات وزارة الثقافة،  
صنعاء، ٢٠٠٤
- (٢٠) شوقي ضيف .. سيرة وتحية، إشراف وتقديم د. طه وادي، دار المعارف، القاهرة،  
١٩٩٢
- (٢١) العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف

- ٢٢) الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، سعيد عوض باوزير، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ١٩٦١
- ٢٣) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الأسد، دار الجيل، بيروت، ط٨، ١٩٩٦
- ٢٤) اللانسونية وأثرها في رواد النقد العربي الحديث، د. عبد المجيد حنون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٩
- ٢٥) اللهجة الياضية .. دراسة تقابلية مع الفصحى في ظواهر صرفية ونحوية، د. سند محمد عبد القوي سالم، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠١٣